لماذا ينخدع العلماء

باعمال الوسطاء الخادعين

فصل موجز من كتاب «رسائل الارواح» الذي تنشره ادارة المقتطف في اواسط الشهر الماضي وهو يشتمل على احدث المباحث في مناجاة الارواح وانتقال الافكار وتعليل الاحلام والشفاء بالاستهواء وما الى ذلك من المباحث الخطيرة

اهتمَّ جمهور كبير من القرَّاء بما كتبناهُ عن القناة التي تدَّعي انها تعود الى ما كانتهُ قبلما وُلِدت فكثرت علينا مسائلهم واكثرهم يحسب ان التعليل الذي علَّلنا به ما ادعتهُ لا يكفي لتعليله كله. وهذا صحيح فان ذلك التعليل لا يكفي لتفسير كل دعاويها اذا كانت صادقة في كل ما ادعتهُ وكان الذين رأوها وكتبوا عنها صادقين في قولهم وغير مخدوعين في احكامهم. لكن ذلك كلهُ بعيد عن التصديق والانخداع الناس بما يرونهُ ويسمعونهُ اكثر كثيراً ممَّا يُظن لاول وهلة وقد اتفق مراراً ان شاهدنا بعض المدَّعين مناجاة الارواح نحن وجماعة من الادباء فخيَّل اليهم انهم رأوا وسمعوا ما لم نرَهُ نحن ولا سمعناهُ. وزاد الفرق بيننا وبينهم حينما تكلَّم كلٌّ منا عمَّا رآهُ وسمعهُ فان الوهم صوَّر لهم الامور على غير حقيقتها حتى صرنا نرتاب في كل ما نسمعهُ عن غرائب التنويم ومناجاة الارواح

وهذا يفسِّر لنا ما اجمع عليهِ جمهور من جلَّة علماء العصر الذين يشار اليهم بالبنان فانهم يقولون ان الحوادث المنسوبة الى مناجاة الارواح بعضها حقيقي لاشبهة فيهِ وهو ليس من تصورات الذهن ولا من اوهام المخيلة بل امر واقعي لاشبهة فيهِ يقوى على الامتحان العلمي فيثبت ثبوت كل المدركات. وهم مخلصون في قولهم مقررون ما يعتقدون صحتهُ تمام الاعتقاد ولكن اعتقادهم صحتهُ لا يوجب كونهُ صحيحاً لان انخداع الناس اكثر كثيراً ممَّا يُظَن

وقد تطرف الدكتور الفرد ولس فقال أن الغرائب التي نُسبت قديماً الى مناجاة الارواح وكذَّبها جمهور العلماء ثبتت صحتها الآن لانهُ وقع لدى علماء هذا العصر ما يماثلها تماماً

وقول ولس هذا حمل البعض على استخدام مناجاة الارواح في تحقيق بعض الجرائم التي وقعت حديثاً في البلاد الانكليزية فقد وجدت جثة فتاة ملقاة في سرب من اسراب سكة الحديد ولم يهتدِ رجال الحفظ الى قاتلها ولا الى سبب قتلها فلجأ بعضهم الى اشهر المدعين مناجاة الارواح لاكتشاف القاتل فصوَّروهُ على صور مختلفة ضلَّت بها الافهام ولم تأتِ

بطائل كما يفعل اصحاب الرمل والمندل عندنا يقولون لك اموراً مبهمة تعلّق بها المعنى الذي يسبق اليه وهمك وكلها تدجيل في تدجيل واصحابها خادعون او مخدوعون

ويدّعي الذين يعتقدون صحّة ما يقال عن ظهور الارواح ان ظهورها ومناجاتها من الادلة القاطعة على خلود النفس ووجود عالم الارواح ويتّهمون من يخالفهم بانهُ منكر لوجود النفس جاحد للحقائق الدينية فيقف ضعيف العزيمة وقفة الريب والخوف منهم ولاسيما بعد ان يرى بين المصدقين بمناجاة الارواح جماعة من اهل الفضل والنبل لكنهُ اذا امعن نظرهُ قليلاً في دعاويهم رأى ما يكفي لنقضها

فاولاً يرى ان الذين كانوا يهتمون اشد الاهتمام بجلاء هذا الامر الغامض واثبات مناجاة الارواح ثم ماتوا ولم يحاول روح احد منهم ان تتجلى لاحد من المنكرين وتقنعهُ بوجودها . فان كانت روح الميت تبقى في هذه الدنيا حول الاحياء تناجيهم وتؤثر فيهم تسمع كلامهم وتجيب طلبهم فعلى مَ لا تفعل اهم شيء يزول به الاشكال وتتجلى به الحقيقة وهو ان تقول للاحياء انا روح العالم فلان جئتكم لاثبت لكم ما كنت انكرهُ

وثانياً ان اشهر الذين كانوا يدّعون مناجاة الارواح اعترفوا اخيراً انهم كانوا يستعملون الحيل لخداع الناس فالفتاتان المعروفتان باسم مرغريت فوكس وكاتي فوكس تزوجتا بعد ان خدعتا كثيرين وبيّنتا كيف كانتا تخدعان الناس بتحريك اصابع ارجلهما فيصدر من تحريكها نقر تدّعيان انهُ نقر الارواح اجابةً لسؤال السائلين . والدكتور سلايد الذي خدع الناس زماناً طويلاً بادعائه انهُ يأمر الارواح فتكتب على الالواح الحجرية اجوبة المسائل التي تُسأل عادة فبيّن كيف كان يفعل ذلك . وقبل هذا بحثت لجنة من كبار العلماء في افعالهِ فاهتدت الى وجه الحيلة فيها

ثالثاً ان الارواح التي يزعم مستحضروها انها ارواح الموتى لا تفعل الاّ اسخف الاعمال واحقرها فلا تكشف سرًّا في كشفهِ فائدة لاحد ولا تنبىء بامر من الانباء بهِ نفع ما مع ان مستحضريها يدّعون انها تفعل ما هو اغرب من ذلك . وان كانت الارواح ترى ما لا يرى وتقرأ ما في الافكار فعلى مَ لا يستخدمها رجال السياسة في كشف النوامض السياسية ورجال القضاء في تحقيق الجنايات بدلاً من ان تقتصر افعالها على الالاعيب الصبيانية التي لا يجني احد منها نفعاً

رابعاً ان الذين يصدقون بمناجاة الارواح ويمارسون ذلك تضعف قواهم العصبية رويداً رويداً وينتهي امرهم الى الجنون وهذا امر معلوم يدل على ان اعصابهم كانت ضعيفة

من اصلها او مائلة الى الضعف ومن كانت اعصابهُ كذلك لا يركن الى احكامهِ وتصوُّراتهِ

الاَّ ان الذين يدَّعون مناجاة الارواح لا ينفكون عن الاعتبار بضاعتهم الرابحة لاسيما وان الذين ينخدعون بهم اكثر كثيراً من الذين يستطيعون كشف خداعهم ولا غرابة في ذلك فان كشف الخداع يقتضي علماً وخبرةً ومهارة غير عادية . الا ان المشعوذ يقف امام الناظرين ويقول لهم صريحاً ان اعمالهُ كلها تتم بالخفة والمهارة لا سحر فيها ولا شيء يفوق الطبيعة ومع ذلك لا يدرك كيفيتها واحد من عشرة من الذين يرونها فلو ادعى انهُ ساحر يعمل اعمالهُ بقوة سحرية او روحية لصدقهُ كثيرون من الذين يرونها

قال الدكتور فورنس وهو من اشهر الذين تصدُّوا للبحث عن حقيقة مناجاة الارواح « لقد رأيت رجالاً يمسكون بنسائهم المتوفيات وقد ظهرنَ لهم باجسادهنَّ وآباء يمسكون بابنائهم المتوفين وقد ظهروا بالجسد ايضاً وارامل يمكن وينحن بين ايدي ازواجهم المتوفين وكنت اناجي نفسي قائلاً أأُصبت بالعمى حتى لا ارى ما يراهُ غيري فان الذي اراهُ امامي انما هو الشخص المدعي اظهار الارواح لا غيرهُ ومع ذلك ينظر اليهِ رجل ماتت زوجتهُ ويحسب انهُ يراها امامهُ بعينها ثم يخرج وتأتي بعدهُ امرأة مات زوجها فتحسب انها تراهُ امامها ثم رجل مات ابوهُ فيحسب انهُ يراهُ امامهُ والشخص واحد لم يتغيَّر فهل قوة الابصار ضعيفة جدًّا في هؤلاء الناس او ان الشخص الذي يدعي استحضار الارواح يستهويهم فيفقدون قوة التمييز او ليس في الامر سرٌّ سوى ان النور ضئيل والليل ستَّار فيخفي الحقائق »

وقد رأينا بعض اعمال المنوِّمين ومستحضري الارواح ورأينا وجه الحيلة في كثير منها ولم نرَ فيها شيئاً غريباً . ولكن اكثر الذين رأوها منا استغربوها كلَّ الاستغراب ولم يصدِّقوا الاَّ انها من الخوارق او مما لا يمكن تعليلهُ . واغرب من ذلك انخداع الاذن بالاصوات فقد كنا نسمع كلمة مبهمة لا نفقهُ لها معنىً ويسمعها غيرنا واضحةً تنطبق على ما ينتظرهُ او ما قام في ذهنهِ

ثم ان مدعي استحضار الارواح مشعوذون كلهم ماهرون في تحويل انتباه الذين امامهم عن الامور الجوهريَّة في حيلهم الى ما لا علاقة لهُ بها والمكان والزمان لا يصلحان للبحث والتنقيب فيتعذَّر على الرائي ان يكتشف الحيَل لا سيما وهو غير معتاد ذلك ولا متمرِّن فيهِ

وزد على ذلك ان اكثر الناس تعودوا تصديق بعضهم بعضاً والاركان الى ما يرونهُ ويسمعونهُ كانهُ حقائق لا شبهة فيها فيعسر عليهم اكتشاف الحيل وانكار ما تراهُ عيونهم وتسمعهُ آذانهم ولو كان كلهُ اوهاماً في اوهام